المحاضـــرة الخامســــــــة :

***قضية الانتحال وتأصيل الشعر (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس).***

***أولا: نشأة قضية الانتحال وتطورها*** :اعتمد الشعر الجاهلي اعتمدا كليا على الذاكرة لحفظه، وعلى الألسن والرواية لنقله ونشره في الناس، وبقي على تلك الحالة مئات السنين يتداوله الرواة عن بعضهم بعض إلى أن جاء عصر التدوين وشاعت معه الكتابة([[1]](#footnote-1))، فقيّض له أن يجمع من أفواه حافظيه ويدون في كتب تحفظه من التلف وترعاه إلى الأبد.فلا غرو إذا أتى على بعضه الضياع ولحق بما تبقى منه كبقية المرويّات شفويا الكثير من التحريف والنحل،والتبديل والعبث ،فكثرت الانتقادات في شأنه وصار لا يطمأن إليه.وتبعا لذلك فقد تدخل النقد لغربلة الشعر وتوثيقه وتمييز صحيحه من زائفه،و يعد ابن سلام أول من انتبه إلى خطورة قضية الانتحال في الشعر وتبعه النقاد في مناقشة هذه القضية ، وهو ماسنتناوله فيما يأتي:"

1- **ابن سلام الجمحي- ت 232ه -** :

تعرض ابن سلام إلى قضية الوضع أو صحة الشعر وصحة الرواية ،فأدرك أن الشعر العربي القديم المتداول على ألسنة الرواة ،والمدون في كتب الأخبار والأنساب أغلبه موضوع من قبل الرواة على ألسنة الشعراء ،لذلك قرر وضعه موضع الشك واستدل على ذلك بأنه لا توجد قرينة على انتماء بعض ما يتداوله الرواة مكتوبًا إلى العصر الجاهلي، لأنه لم يؤخذ عن أهل البادية مشافهة ، ولم يعرض على علماء العربية الثقات، ثم هو شعر ضعيف: "مصنوعٌ مُفْتَعَلٌ موضوعٌ كثير لا خيرَ فيه، ولا حُجَّةَ في عَرَبِيَّةٍ، ولا أدبٌ يُستفاد، ولا معنىً يُسْتخرج، ولا مَثَلٌ يُضْرَب، ولا مديحٌ رائعٌ، ولا هجاءٌ مُقْذِعٌ ([[2]](#footnote-2))". وأنه "ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون" ([[3]](#footnote-3))

تأسيسا على ذلك قد انتقد ابن سلام محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية فقال عنه: "كتب في السِّيَر أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ، فكتب لهم أشعارًا كثيرة، وليس بشعر، إنَّما هو كلامٌ مؤلَّفٌ معقودٌ بقَوَافٍ"، الأمر الذي جعل ابن سلام ينفى هذا الشعر، ويرفضه مستدلاً على ذلك بالعديد من الأدلة هي:

**أ – الدليل النقلي:** وهو ما جاء في القرآن في الآيتين السابقتين حيث إن الله أهلك هذه الأمم التي ذكر ابن إسحاق أشعارها فذكر عنها في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى\* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾(النجم: 50- 51)، وذكر عن قوم عاد: ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾(الحاقة: 8)، فيا ترى من حمل ذلك الشعر إلى عصر التدوين والله قد أهلك عادا وثمود؟

**ب- الدليل التاريخي:** فاللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود، فكيف يظهر شعر بلغة لم تظهر بعد. فأول من تكلم العربية إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل جاء بعد عاد.

**ج –** ويذكر ابن سلام أن عادا من اليمن وأن لليمن لسانا غير هذا اللسان العربي .

**د –** **الدليل الأدبي :**يذكر ابن سلام أن القصائد الطوال ظهرت في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع.([[4]](#footnote-4))

وبهذا نلاحظ أن ابن سلام الجمحي قدّم ما جعله يشكك في بعض المروي من الشعر الجاهلي بشكل منصف فبسط العلل وقدم أدلة مقنعة من ناحية شكه كوضع القبائل لشعر على ألسن شعرائها لتزيد في مناقبها ، ووضع الرواة غير الثقات ، كما أوضح أن الشك ليس مطلقا إنما مقيد بشروط وضوابط لا يتعداها الباحث.

**2- الآمدي-ت 371ه -:**

ونصل إلى القرن الرابع حيث يطالعنا الآمدي بحديثه عن الانتحال، فهو يتحقق من النصوص ونسبتها حيث يرجع إلى النسخ القديمة ويحقق أبيات الشعر.

ففي حديثه عن شعر أبي تمام يذكر أنه اطلع على النسخ العتيقة التي لم يطلع عليها غيره، يقول: " حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد الصولي وأضرابه "([[5]](#footnote-5)).

كما يملك الآمدي روح الناقد الخبير فكان نقده علميا " ينظر في صحة نسبة الشعر، وهو في ذلك تلميذ لابن سلام، ومن ثم نراه لا يقبل ما ينسب إلى الأعراب انتحالا "([[6]](#footnote-6)).

وفي الموازنة مثال دال على هذا حيث يتحدث الآمدي بلهجة المشكك في نسبة بعض الشعر للأعراب فيقول: "وقال أبو العباس ثعلب: سمعت سيد العلماء يستحسنه يعني ابن الأعرابي، و نحو هذا ما أنشده المبرد لأعرابي **وليس هو عندي من كلام الأعراب وهو بكلام المولدين أشبه**:

***وَأَدنـُـو فتُقصينـي وأَبعد طالبا رِضـاهـا فتعند التباعد من ذنبي***

***وشكواي تؤذيها وصبري يسوؤها وتجزع من بعدي وتنفر من قربي***".([[7]](#footnote-7))

وهكذا، فالآمدي واصل ما بدأه ابن سلام في تحقيق النصوص ونسبها لأصحابها بمنهج فيه روح النقد العلمي.

3- **ابن رشيق القيرواني- ت 456ه-** :

يشير هذا الناقد إشارة سريعة إلى قضية الانتحال عند حديثه عن السرقات ،ويستعمل مصطلح الانتحال مثل ابن سلام وسواه،ويضيف مصطلحات أخرى هي: الإغارة. الغصب، المرادفة،وكلها تتضمن معنى استلحاق شاعر لبيت من شاعر آخر وادعائه لنفسه ، حيث يذكر بيتين عرفا لجرير هما : ***إنَّ الذين غدوا بلبِّكَ غادرُوا وشلاً بعينِكَ لا يزالُ معينَا******غيَّضنَ من عبراتهِنَّ وقلنَ لي ماذا لقيتَ منَ الهوى ولقينَا***ثم يعلق قائلا :""فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير."([[8]](#footnote-8))

**4- الحصري القيرواني- ت413ه - :**

لم يستخدم مصطلح الانتحال ولكنه وظف مصطلحا آخر هو الإغارة فقال معلقا على استيلاء ابن بسام على أبيات شعرية للشاعر علي بن خليل :"ولعمري إن هذه ليست سرقة ،وإنما هي مكابرة محضة ،وأحسب أن قائله لو سمع هذه لقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فحسبت أن ربيعة بن مكدم وعيينة بن الحارث كانا لا يستحلان من البيت ما استحله ،فإنهما كانا يأخذان جله ،وهذا الفاضل قد أخذه كله"([[9]](#footnote-9))

**ثانيا : دوافع الانتحال:**

1- رغبة القبائل في التزيد من أشعارها لتزيد في مناقبها ولتتضح معالم تاريخها في الجاهلية لتتخذه مادة لفخرها على القبائل الأخرى .يقول ابن سلام الجمحي :"فلما راجعت العرب رواية اشعر وذكر أيامها ومآثرها ،استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ،وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ،ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت " ([[10]](#footnote-10))

2- بعض الرواة الأعراب الذين كانوا يفدون الحواضر ليرووا شعر الشعراء المتقدمين من شعراء قبائلهم كانوا إذا ما انتهى شعر الشاعر ربما زادوا على أشعاره طمعا في الكسب ،وربما ربطت بعضهم بالشاعر صلة قرابة ، فهو يحقق مجدا لقبيلته وللشاعر ،ويجني الربح ، يقول ابن سلام :"أخبرني ابو عبيدة أن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة ...فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا ...فلما توالى ذلك منه علمنا أنه يفتعله ." ([[11]](#footnote-11))

3- قد يعمد بعض الرواة إلى الشعر ينحلونه الشعراء الجاهليين لتزيين القصص وبخاصة قصص الأيام ، فالقصة كانت في الأصل شعرا ونثرا ،وربما سقط هذا الشعر في أثناء تلك الرحلة الشفوية الطويلة التي قطعها الشعر حتى دون ،فيعمد القصاصون إلى وضع الشعر المناسب للقصة ،وأصحاب هذا اللون هم كتاب السير والتاريخ ،وقد نص على ذلك ابن سلام في طبقاته([[12]](#footnote-12)) . فابن اسحاق في سيرته أورد شعرا لكل شخصية في سيرته تقريبا وعندما سئل عن ذلك قال :" لا علم لي بالشعر إنما أوتى به فأحمله"([[13]](#footnote-13)) ،وهذا الشعر يزين القصص ويجعل التاريخ مادة محببة إلى نفوس السامعين .

4- أكثر ما ينحل الشعر تلك الشخصيات التي حيكت حولها الأساطير وصور البطولة الخارقة ،فقد أكثر القصاصون من الشعر المتصل بعنترة والمهلهل وحاتم الطائي ، وقد نص بعض القدماء على ذلك فقال صاحب الموشح في خبر يرفعه إلى الأصمعي :"وأكثر شعر المهلهل محمول عليه "([[14]](#footnote-14))

5- ربما كان الدافع إلى الانتحال إثبات حقيقة متصلة بالأيام أو تلفيقها لتجلب فخرا لفريق أو عارا لفريق آخر .

ونستطيع القول إن العصبية القبلية كانت وراء هذه الدوافع أو وراء معظمها ،وربما برزت هذه الدوافع عندما أفسح الأمويون للعصبيات للظهور أو التناحر مرة ثانية كما كانت عليه في الجاهلية

**ثالثا :مظاهر الانتحال في الشعر الجاهلي :**

يتخذ الانتحال مظاهر مختلفة ولعلنا نستطيع تمييز المظاهر الآتية :

-يعمدون إلى النص ويضيفون إلى أبياته أبياتا أخرى رغبة في الكثرة وتوضيح الصورة ،ومثال ذلك ما نجده عند أبي عبيدة ،حيث أورد أبياتا لعوف بن عطية التيمي مطلعها :

*.* ***هلا فوارس رحرحان هجوتم   عشرًا تناوح في سرارة واد***

ثم قال :"وبقية هذه القصيدة مصنوعة "([[15]](#footnote-15)) كما اعترف أبو عمرو بن العلاء بالأبيات الثلاث الأولى لقصيدة ذي الأصبع العدواني في رثاء قومه وقال إن باقي القصيدة منحول([[16]](#footnote-16))وقديحمل النص بأكمله على الشاعر لسبب من الأسباب التي سبق ذكرها ، فقد ورد في النقائض أن القصيدة التي مطلعها :

***وهم تركوا رئيس بني قشير شريحا للضباع والنسور***

ليست لبشر بن أبي خازم وإنما حملت عليه ،وأن الذي قالها كعب بن ربيعة الأسدي في الإسلام([[17]](#footnote-17))

من مظاهر الانتحال أن يتولى راوية أو مجموعة من الناس عملية التزيد في شعر شاعر جاهلي لتحقيق غرض ، ومن أمثلة ذلك ما فعله داود بن متمم بن نويرة حينما جعل يزيد في شعر أبيه حين نفذ شعره ، ومن هذا القبيل ما ذكره صاحب الموشح من أن "كثيرا من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه"([[18]](#footnote-18))

من مظاهر الانتحال ان بعض الشعراء المقلين كانوا يتعرضون لعملية سطو على شعرهم من قبل شعراء قبائلهم المشهورين ،فكانوا يسطون على الشعر وينسبونه لأنفسهم ،قال ابن سلام عن أحد الشعراء المغمورين واسمه قراد بن الخنش المري :"كانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ومنهم زهير بن أبي سلمى"([[19]](#footnote-19))

**رابعا :اختلاط الشعر بين الشعراء :أسبابه ومظاهره**

1. **أسبابه :**

* الحياة الجاهية نفسها وعدم تدوين الشعر في حينه .
* اتحاد القصيدتين في الوزن والقافية ،مما يلبس الأمر على الرواة عبر الطريق الطويل الذي تقطعه القصيدتان
* تشابه الغرض مما يسبب اختلاط القصيدتين ،ومثال ذلك ما رواه صاحب الأغاني في أبيات للخنساء ومطلعها :***مابال عينك منها الدمع مهراق سحا فلا عازب لا ولا راق***

وتنسب هذه الأبيات أيضا لعزة بنت مكدم([[20]](#footnote-20))

* تشابه الأسماء أو القرابة بين الشعراء مما يوقع الرواة او النساخ في اللبس ،فمتمم بن نويرة ومالك بن نويرة أخوان ،وهناك أبيات اختلف في تحديد نسبتها فبعض المصادر تنسبها لمتمم([[21]](#footnote-21))، والأخرى نسبتها لمالك([[22]](#footnote-22))

أكثر الأسباب حدوثا هو ان الاختلاط في الشعر يقع نتيجة سهو يقع فيه الرواة والنساخ ،وبعضهم (أي النساخ )لا يدققون في هذه الأعلام التي قالت الشعر ،وبعضهم يلتبس عليه الخط الذي ينسخ منه ،كما أن بعض الرواة قد يقعون في الخطأ فيخلطون في نسبتهم للشعر .

2- **مظاهره:**

- أكثر الاختلاط وقع في نسبة القطعة أو القصيدة أو البيت لأكثر من شاعر .

- اشتراك النصين في بعض الأبيات.

- قد يقول شاعران شعرا في يوم واحد أو في حدث واحد فيختلط الأمر على الراوية .

**خامسا :منهج توثيق الشعر الجاهلي :**

بعد أن عرضنا لقضية الانتحال ودوافعه وفرقنا بين الانتحال والاختلاط ،بعد كل هذا نود أن نخرج إلى قضية إلى أي مدى نستطيع أن نثق بهذا الشعر أو نشك فيه ؟

لقد تعرض القدماء من علمائنا لقضية توثيق الشعر وتمييز غثه من سمينه ،حيث ساروا على النهج التالي :

1- **إجماع الرواة** : حيث كان القدماء :" يقبلون ما اتفق العلماء عليه فإذا ما اتفقوا عليه فليس لأحد ان يخرج منه" ([[23]](#footnote-23))وهذا أوثق الدرجات عندهم .

2- إذا تعذر إجماع الرواة عليه فإنهم يرفضون شعرا يأتيهم من رواة غير موثوق بهم كابن اسحاق وحماد ،إلا أن يأتيهم من مصادر موثقة ،أي إن القدماء لم يكونوا يرفضون الشعر من الراوي الذي عرف عنه الكذب لمجرد صدوره عنه بل كانوا يحاولون البحث عنه في المصادر الوثيقة ،فيقفون من الراوية موقف المتشكك الذي يحاول أن يصل إلى اليقين :يتركون الشعر الذي يذكره الرواة غير الثقات إذا لم يروا أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ،ولم يجدوها في مصدر موثق ،فسبيلهم لتوثيق الشعر إذن : إما أن يأتيهم من مصادر موثقة ،وإما أن يروى عن أحد من أهل العلم أنه يعرفه.

3- لم يكن القدماء ليقنعوا ويرضوا بأخذ الشعر من بطون الكتب والصحف ،ولم يكتفوا بأن يذكر الراوية أنه أخذ هذا الشعر من كتاب كذا بل لقد عدوا ذلك عيبا ولا يعني ذلك أنهم يرفضون الشعر المدون في الكتب ، بل اشترطوا شرطين آخرين ليصلوا إلى شعر موثق أولهما :

1. أنه يجب أخذ هذا الشعر عن أهل البادية أصحاب هذا الشعر ورواته وأصحاب ،وأصحاب اللسان القويم الذي لم تداخله العجمة وأصحاب الذوق الفطري السليم.
2. إن هذا الشعر المدون في الكتب ينبغي عرضه على العلماء ليقولوا رأيهم فيه ويصححوه إذا وجد فيه تحريف أو تصحيف.

4- **المقياس التاريخي** : لم يكن القدماء ليقنعوا بالشعر لمجرد وثوقهم من روايته بل كانوا يخضعونه لمقياس تاريخي بالنظر إلى مضمونه : هل فيه ما لا يتعارض مع ما كان الجاهليون يعرفونه؟ هل فيه بعض الإشارات الإسلامية ؟هل ذكر أحداثا لم يشهدها العصر الجاهلي ؟إلى غير ذلك من العلامات التي كانت تنير لهم الطريق للحكم على هذا الشعر ،فقد شك ابن قتيبة في البيت الأخير من ابيات أوردها للبيد لأنه لمح تشابها بينه وبين مضمون الآية القرآنية : وحصل ما في الصدور قال ابن قتيبة :"وهذا البيت الآخر  يدل على أنه قيل في الإسلام، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى: "وحُصّل ما في الصدور...ولعل البيت منحول "([[24]](#footnote-24))

**5- المقياس الفني** : كان القدماء يملكون الذوق الشعري السليم، كما كانوا متمكنين من لغتهم حافظين للشعر الذي سبقهم ، كل ذلك أكسبهم ملكة النقد الفطري السليم ، يقرأ الواحد منهم الأبيات من الشعر أو يقرأ عليه فيحكم عليها حكما مقاربا للصواب ، فقد كان داود بن متمم بن نويرة يروي شعر أبيه ، وحين نفذ هذا الشعر جعل يزيد في الأشعار ،وقد عرف العلماء أنه يفتعل الشعر ويزيد فيه من خلال معرفتهم لشعر متمم وأسلوبه وصوره التي يستخدمها وطابعه العام ، وإذا هم-أي العلماء- أمام شعر غير شعر متمم ، عرفوا ذلك على الرغم من كونه كان يحتذي على كلام أبيه مقلدا([[25]](#footnote-25)).

خاتمة :

يتضح مما تقدم أن ابن سلام هو أول من أثار قضية الانتحال مقدما الأدلة على وجودها ، وقد سار النقاد من بعده على نهجه أبرزهم الآمدي وابن رشيق .

اتبع النقاد منهجا علميا دقيقا ومضبوطا لتوثيق الشعر وغربلته ،فوضعوا شروطا موضوعية وفنية حتى يقبلوا الشعر من رواته.

1. -يقول الباحث مشري بن خليفة :"نستطيع أن نميز في تاريخ رواية الشعر الجاهلي بين ثلاث مراحل متعاقبة هي مرحلة الإنشاد في العصر الجاهلي مرحلة التجميع في صدر الاسلام والعصر الأموي مرحلة التدوين في العصر العباسي"ينظر :

   **مشري بن خليفة** :الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية ،دار الحامد للنشر ،ط1، 2011،ص46. [↑](#footnote-ref-1)
2. **ابن سلام الجمحي** :طبقات فحول الشعراء، تح محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني ،جدة ،ص4. [↑](#footnote-ref-2)
3. المصدر نفسه، ص46. [↑](#footnote-ref-3)
4. ينظر **ابتسام مرهون الصفار وناصر حلاوي** :محاضرات في تاريخ النقد ، ص 120، 121. [↑](#footnote-ref-4)
5. **الآمدي، الحسن بن بشر** : الموازنة بين الطائيين، ، تح السيد أحمد صقر،دار المعارف،مصر،ط4 ،1961، 1/ 216. [↑](#footnote-ref-5)
6. **محمد مندور**: النقد المنهجي عند العرب، ص 104. [↑](#footnote-ref-6)
7. **الآمدي:** الموازنة، 1/135. [↑](#footnote-ref-7)
8. **ابن رشيق القيرواني** :العمدة، 2/283، 284. [↑](#footnote-ref-8)
9. **الحصري القيرواني** : زهر الآداب وثمر الألباب ، تح محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ، ط2، 1953 ،2/749.

   [↑](#footnote-ref-9)
10. **ابن سلام الجمحي** : طبقات فحول الشعراء ،ص39، 40. [↑](#footnote-ref-10)
11. المصدر نفسه، ص40. [↑](#footnote-ref-11)
12. ينظر المصدر نفسه ،ص7. [↑](#footnote-ref-12)
13. المصدر نفسه، ص95. [↑](#footnote-ref-13)
14. **المرزباني، محمد بن عمران**: الموشح**،** تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ،ط1 ،1952.، ص106**.** [↑](#footnote-ref-14)
15. . **أبو عبيدة معمر بن المثنى** : كتاب النقائض، تح خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1998، 1/167. [↑](#footnote-ref-15)
16. **الأصفهاني** :الأغاني، 3/106. [↑](#footnote-ref-16)
17. **أبو عبيدة معمر بن المثنى** : كتاب النقائض، 1/176، 177. [↑](#footnote-ref-17)
18. **المرزباني** :الموشح ،ص37 [↑](#footnote-ref-18)
19. المصدر نفسه ، ص59. [↑](#footnote-ref-19)
20. **الأصفهاني** :الأغاني ،16/25. [↑](#footnote-ref-20)
21. **أبو عبيدة معمر بن المثنى** :كتاب النقائض،1/228. [↑](#footnote-ref-21)
22. **ابن عبد ربه** : العقد الفريد ، تح مفيد قميحة،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1983 ،5/234. [↑](#footnote-ref-22)
23. ينظر **ابن سلام الجمحي** : طبقات فحول الشعراء ، ص5-6. [↑](#footnote-ref-23)
24. **ابن قتيبة** :الشعر والشعراء. تح أحمد محمد شاكر ،دار المعارف،القاهرة،ط2، دت، 1/199. والبيت هو :

    **وكل امرئٍ يوما سيُعلم سعيهُ إذا كُشفت عند الإله المحاصلُ.** [↑](#footnote-ref-24)
25. - **ابن سلام الجمحي** : طبقات فحول الشعراء، ص40. [↑](#footnote-ref-25)